شرح الأحاديث الصحيحة

وبيان أحكام العبادات والمعاملات بالأمثلة المعاصرة

د. أحمد حسين الرفاعي

القدس

١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

(الجزءُ الأوَّل)

بسم الله الرحمن الرحيم

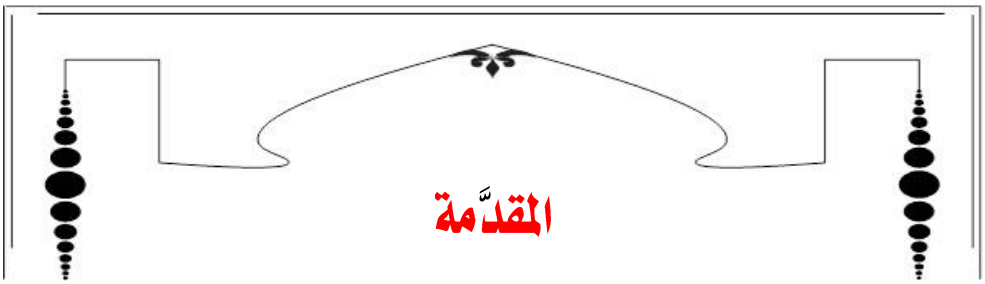

المقدَّمة

الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

احتوى هذا الكتاب عددًا كبيرًا من الأحاديث النبوية الصحيحة، تجاوزت الآلاف، منها ما انتقاه في عصره الشيخ الإمام النووي ﷺ ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م وغيره من أمهات كتب الأحاديث، شملت الأوامر والنواهي من الأقوال والأعمال، والترغيب إليها والترهيب منها، مشتملة على أحكام العبادات والمعاملات، وبيان معاني مفرداتها وشروحات معاصرة لها، ومحصلًا للآداب وسائر أنواع السلوك السليم من أحاديث الزهد، وتهذيب النفوس والأخلاق، وطهارة القلوب وعلاجها، وحاجزًا عن أنواع القبائح والمهلكات، ثم اقترنت هذه الشواهد فيما بعد بشروحات وتعليقات لعدد من كبار أهل العلم على مختلف الأزمنة، ومن أهمها الشروحات المعاصرة، وشواهد وفوائد من شروحات كبار علماء العصر الحديث، أهمها شروحات الشيخ المرحوم ابن عثيمين ﷺ، كما احتوى شواهد وآثارًا من أقوال الصحابة والتابعين والصالحين، وأقوالًا مأثورة وردت في بطون الكتب القديمة، تمت قراءة كتب ومجلدات كثيرة مرارًا وتكرارًا، ثم انتقاء شواهد منها، وإضافة شواهد أخرى، وفوائد وشروحات من غيرها

من أمهات المصادر والمراجع، حتى تكاملت النصوص يُقوِّي بعضها بعضًا، بأشهر الروايات وأصح الأقوال، على منهج السلف الصالح.

كما احتوت شروحات هذا الكتاب أحكامًا شرعية كثيرة لقضايا فقهية وعقائدية جديدة ومعاصرة، لأبرز العلماء ممن عاشوا في زماننا، مع اختيار أشهر الأقوال منها وإن كانت مرجوحة أحيانًا، إلا أنها أصح الأقوال، مع اجتناب توثيق أقوال هؤلاء العلماء بأسمائهم وألقابهم، حرصًا على سلاسة النص واختصار الكلام، وعدم إرهاق الحواشي بالتعليقات.

كما تعرضت النصوص والشروحات في هذا الكتاب، لأغلب قضايا العبادات والمعاملات الثابتة والمستحدثة، مع ضرب الأمثلة من واقع الحياة اليومية المعاصرة بالأسلوب البسيط، تسهيلًا للقارئ على الفهم السريع، بعيدًا عن التعقيد والتنطّع في الكلام، بما يتناسب مع الواقع الجديد الذي يعيشه الإنسان المسلم في وقتنا الحاضر، بهدف الوصول إلى المعلومة السريعة.

ونلفت النظر، أن استعمال ضمير المتكلم المفرد والجمع، مما ورد في شروحات الآيات والأحاديث والآثار، بشتى أشكاله، يعود لأصحابها المعاصرين أو القدامى رحمهم الله، أبرزهم الإمام ابن عثيمين وغيره من الأئمة الشراح، وذلك مثل: (قلت، أقول، قلنا، نقول، أرى، نرى، رأينا، حدثني...)، وغيرها من التصريفات.

أسأل الله تعالى أن يبارك هذا العمل، وأن ينفع هذا الكتاب جميع المسلمين في أنحاء الأرض، وأن ينفعني علمًا أنتفع به بعد موتي، ممن ذكرهم رسول الله ﷺ في الحديث

الذي رواه مسلم في صحيحة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

اللهم انفعنا بهذا يوم نلقاك، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا أماني ولا آمال كنا نلعب ونلهوا بها في هذه الدنيا، ولا سيارات فخمة ولا قصور ضخمة، ولا قريب ولا منصب ولا جاه، اللهم آمين.

د. أحمد حسين الرفاعي

القدس

تمهيد: تعريفات ومصطلحات

أَولًا: القُرْآنُ

ويُسَمَّى تكريمًا: القُرْآنُ الكَرِيمُ، وهو كتاب الله العظيم عند المسلمين، ويؤمنون أَنَّهُ كلام الله تعالى، وَأَنَّهُ قد أُنزِلَ على النبي محمد ﷺ بهدف التشريع أولًا، وفيه بيان وإعجاز للمناكفين له في جميع العصور، وأنه محفوظ في الصدور والسطور من كل مسٍّ أو تحريف، وبأنه منقول بالتواتر، والمتعبد بتلاوته، وأنه آخر الكتب السماوية بعد صحف إبراهيم والزبور والتوراة والإنجيل.

والقرآن هو أقدم الكتب العربية، تماسكت كلماته وحروفه من دون أي تغيير أو تبديل أو تحريف، ذلك بحفظ الله، وهو الأعلى قيمةً لغويًّا، لما يجمعه من البلاغة والبيان والفصاحة، وبالتالي فإن للقرآن أثرًا وفضلًا في توحيد اللغة العربية، وتطوير آدابها وعلومها الصرفية والنحوية، وتثبيت اللّبنات الأساسية لقواعدها ونحوها وصرفها، إذ يُعدّ مرجعًا وأساسًا لكل مساهمات النوابغ اللغويين في تطوير اللغة العربية، بداية من الفراهيدي وتلميذه سيبويه، إلى علماء اللغة في العصر الحديث، من الذين كان لهم دور كبير في محاولة الدفع بإحياء اللغة والتراث العربي، والفضل في ذلك يعود إلى القرآن الكريم، حيث لم تكن موحَّدة قبل هذا العهد على الرغم من أنها كانت ذات ثراء ومرونة، فقد وحّد القرآن الكريم اللغة العربية توحيدًا كاملًا وحفظها من التلاشي

والانقراض، كما حدث مع العديد من اللغات السّامية الأخرى، واللغة اللاتينية التي تفككت وأضحت لغات متفرقة أو بائدة اندثرت مع الزمن، أو إلى لغات بديلة مستحدثة انفصلت عن ماضيها وانقطعت عنه، ومنها ما طالها الضعف والانحطاط، وبالتالي عدم القدرة على مسايرة التغييرات والتجاذبات التي تعرفها الحضارة وشعوب العالم الحديث.

ويحتوي القرآن على (١١٤) سورة تصنف إلى مكّية ومدنية، وفقًا لمكان وزمان نزول الوحي بها، ونحن نؤمن بأن القرآن أنزله الله كلامًا مسموعًا على لسان الملَك جبريل إلى النبي محمد ﷺ على مدى (٢٣) سنة، بعد أن بلغ النبي ﷺ سن الأربعين، وحتى وفاته في العام ١١هـ/ ٦٣٢م، حسب الحوادث التي كانت تطرأ في المجتمع الإسلامي، كما أننا نؤمن بأن القرآن حُفظ بدقة على يد الصحابة، بعد أن نزل الوحي على النبي محمد ﷺ، فحفظه وقرأه على صحابته بالتواتر، ونؤمن أن آياته محكمات مفصّلات، وأنه يخاطب الأجيال كافة في كل الأماكن والعصور، ويتضمن كل المناسبات، ويحيط بكل الأحوال.

أما تشريعات القرآن، فقد اشتملت على كافة الأحكام، كأحكام العبادات والمعاملات والحدود والكفارات والأحوال الشخصية وكل ما يحتاجه الإنسان في تنظيم حياته وسلوكه، كما أن هذه التشريعات تشمل الأحكام المتعلقة بالفرد والمجتمع في المجالات كافة، وإثبات صدق النبي ﷺ في تبليغه الرسالة، وكذلك إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله على قلب نبيه الكريم.

ولعل من أبرز ما يميز التشريع القرآني أيضًا، أنه تشريع يوافق الفطرة ولا يناقضها أبدًا، بل إنه يعمل على إحياء الفطرة وإرجاعها إلى طريقها إن خرجت عن أصلها، وبيان

ذلك أننا نجد القرآن الكريم قد جاء بالتشريعات التي تتوافق مع طبيعة الناس ورفع الحرج عنهم، وأسقط بعض التكاليف عند عدم القدرة على إتيانها.

ثانيًا: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

ويسمّى الحديث النبوي، ويطلق عليه السنة النبوية عند أهل السنة والجماعة، وهو ما ورد عن الرسول محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، خَلقية أو خُلقية، أو سيرة سواء قبل البعثة، أي بدء الوحي والنبوة أو بعدها، والحديث والسنة عند أهل السنة والجماعة هما المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، وذلك أن الحديث خصوصًا والسنّة عمومًا موضّحان ومكمّلان لقواعد وأحكام الشريعة وأنظمتها، وفيهما تفصيل لما جاء مجملًا في القرآن، وإضافة لما سكت عنه، وأيضًا توضيح لبيانه ومعانيه ودلالاته، كما جاء في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، فالحديث النبوي هو بمثابة القرآن في التشريع من حيث كونه وحيًا أوحاه الله للنبي ﷺ، والحديث والسنة مرادفان للقرآن في الدليل والحجة ووجوب العمل بهما، حيث يُستمد منهما أصول العقيدة والأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات، إضافة إلى نظم الحياة من أخلاق وآداب وتربية.

وقد اهتم العلماء على مر العصور بالحديث النبوي؛ جمعًا، وتدوينًا، ودراسة، وشرحًا، واستُنبطت حوله العلوم المختلفة، كعلم الجرح والتعديل، وعلم مصطلح الحديث، وعلم العلل، وغيرها، والتي كان الهدف الأساس منها حفظ الحديث والسنّة، ودفع الكذب عن النبي ﷺ، وتوضيح المقبول والمردود مما ورد عنه، وامتد تأثير هذه العلوم الحديثة في المجالات المختلفة كالتاريخ وما يتعلق به من السيرة النبوية وعلوم التراجم والطبقات، إضافة إلى تأثيره على علوم اللغة العربية والتفسير والفقه وغيرها.

ثالثًا: الحَدِيثُ القُدُسِيُّ

الحديث القدسي: وهو ما نُقِلَ إلينا عن النبي ﷺ، مع إسناده للحديث إلى الله تعالى، ويُسمّى الأحاديث الإلهية؛ أو الأحاديث الربّانيّة؛ فيُروى على أنه كلام الله، إمّا عن طريق الإلهام، أو عن طريق الوحي جبريل، أو المنام، مثال ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**». رواه البخاري ومسلم، وما رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبُّ، كَيْفَ أَعُودُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ...**»، والأحاديث القدسية الصحيحةُ ليست كثيرة، كونها في أغلبها من باب المواعظ؛ فقد كَثُر فيها من الأحاديث الواهية والموضوعة.

أما أنواع الحديث الأخرى باعتبار الراوي، فإنها تقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحديث المرفوع

وهو الحديث الذي رواه الصحابي فقط، وينسبُ إلى رسول الله ﷺ، من أقوال أو أفعال أو تقرير أو صفات، مثل: قال رسول الله كذا، أو فعل أو أقرّ رسول الله، سواءً كان سنده صحيحًا أم لم يكن، ولذلك يمكن أن يكون الحديث المرفوع صحيحًا أو ضعيفًا أو غير ذلك، والأمثلة على هذا النوع من الأحاديث كثيرة:

منها قوليٌّ: كما ورد في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**».

ومنها فعليٌّ: كما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، عندما سُئِلت عن صلاة الرسول ﷺ في رمضان، قالت: «مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ

رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «**تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»». وإخبار عائشة ﵂ عن صلاة النبيّ ﷺ في التّطوع: «مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً».

ومنها التَّقرير: أي إقرار الرسول ﷺ على أمر وقبوله، أي إن الصحابي يفعل أو يقول شيئًا بحضور النبي فيسكت عنه ولا يعارضه، أو يمنعه، أو يقول له: لا تفعل هذا حرام، ومن الأمثلة عليه أنّ عمرو بن العاص ﵁ أصابته جنابة وهو في غزوة ذات السلاسل، وكان في ليلةٍ شديدة البرد؛ فلم يغتسل، وإنّما تيمّم وصلّى بالنّاس، ولمّا رجع بمن معه إلى المدينة سأل النبيّ ﷺ وقال: إنّي خشيتُ على نفسِي وتأوَّلت قولَ اللهِ سبحانَه: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾، فتبسَّم النبيُّ ﷺ ولم يقلْ له شيئًا، وأقرّه ولم يأمرْه بالإعادة.

ومنها الصِّفات: حيث تصف الرّواية حالًا من أحوال النبيّ ﷺ؛ فقد دخل أعرابيّ مرّة إلى مسجد رسول الله، فقال: أيكم محمد؟ قالوا: هذا الرجلُ الأبيضُ المُتَّكِئُ.

أو تصف خِلْقَة النبيّ ﷺ، مثال ذلك: قول البراء بن عازب ﵁: كان رسولُ اللهِ ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا، وأحسنهم خَلقًا، ليسَ بالطَّويلِ البائِنِ، ولا بالقَصير.

أو تصف أخلاق النبيّ ﷺ؛ ومثال ذلك في الحديث المرفوع: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**».

القسم الثاني: الحديث الموقوف

هو ما أضيف إلى الصحابي من قول، أو فعل، أو تقرير، حيث ينتهي إسناده عند الصحابيّ.

والصحابي: كل مسلم رأى أو لقي رسول الله ﷺ ومات على الإسلام، ومن رآه ولو لم يجالسه، أو من جالسه ولم يره كالأعمى، وقد بلغ عدد صحابة رسول الله الذين عاصروه حوالي (١١٤) مائة وأربعة عشر ألفًا، وأكثر الصحابة رواية لحديث النبي ﷺ، وهم على الترتيب:

أبو هريرة رضي الله عنه روى (٥٣٧٤) حديثًا، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما روى (٢٦٣٠) حديثًا، وأنس بن مالك رضي الله عنه روى (٢٢٨٦) حديثًا، وأم عبد الله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت (٢٢١٠) من الأحاديث، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما روى (١٦٦٠) حديثًا، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما روى (١٥٤٠) حديثًا، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه روى (١١٧٠) حديثًا، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، روى (٨٤٨) حديثًا، وعبد الله بن عمرو بن العاص، روى (٧٠٠) حديث.

ومثال الحديث الموقوف قول: قال ابن عُمر كذا، أو فعل كذا، كصلاته للوتر على الدّابة وهو مُسافر، كما يُلحق به ما أُضيف إلى الصحابي من تقريره أو صِفاته الخَلقيّة أو الخُلقيّة، كقول بعض الصحابة: ما سبق أبو بكر القوم بكثير صلاة ولا صيام، ولكن سبقهم بشيءٍ وقر في قلبه، فهذا يُطلق عليه الحديث الموقوف.

ومثال القولي: قول الراوي، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله.

ومثال الفعلي: قول البخاري: وأَمَّ ابنُ عباس وهو متيمّم.

القسم الثالث: الحديث المقطوع

وهو كلُّ ما ورد عن التَّابعيِّ أو ما دون التَّابعي من قول أو فعل، لكنَّه لم يرد عن الرَّسول ﷺ أو عن الصحابي، ويسمّيه علماء الحديث: الأثر.

والتَّابعيُّ: هو كلُّ من رأى الصَّحابة ولم يرَ النَّبيَّ ﷺ، والحديث المقطوع ليس وحيًا من الله تعالى ولا حديثًا نبويًّا.

مثال المقطوع القولي: قول الحسن البصري في الصلاة خلف المبتدع: صلِّ خلفه وعليه بدعته.

ومثال المقطوع الفعلي: قول إبراهيم بن محمد بن المنتشر: كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله، ويُقبل على صلاته، ويُخليهم ودنياهم.

الإخلاص والنِّيَّة

الإخلاص هو: أن يريد العبد بطاعته التقرُّب إلى الله من دون شيء آخر، والنيّة محلها القلب، ولا محل لها في اللسان في جميع الأعمال.

حكم النطق بالنية

من نطق بالنية عند إرادة الصلاة أو الصوم أو الحج أو الوضوء، أو غير ذلك من الأعمال، كان مبتدعاً قائلاً في دين الله ما ليس منه؛ لأن النبي ﷺ كان يتوضأ ويصلي ويتصدق، ويصوم ويحج، ولم يكن ينطق بالنية، فلم يكن يقول: اللهم إني نويت أن أتوضأ، اللهم إني نويت أن أصلي، اللهم إني نويت أن أتصدق، اللهم إني نويت أن أحج، لم يكن يقول هذا؛ والله ﷻ يعلم ما في القلب، ولا يخفى عليه شيء؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ [آل عمران:٢٩].

استحضار النية

وينبغي للإنسان أن يستحضر النية في جميع العبادات، فينوى مثلاً الوضوء، وأنه توضأ لله امتثالاً لأمر الله، كذلك في الصلاة: تنوي الصلاة أنها الظهر أو العصر، وتنوي أنك إنما تصلي لله لا لغيره، لا تصلي لتمدح على صلاتك، ولا لتنال شيئاً لأجل الدنيا، والله سبحانه عالم بنية العبد، ربما يعمل العبد عملاً يظهر أمام الناس أنه عمل صالح، وهو

عمل فاسد لأن الله يعلم ما في القلب، ولا يجازى الإنسان يوم القيامة إلا على ما في القلب، لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٨-١٠] يعني: يوم تختبر السرائر، أي ما في القلوب.

ما أعظم خسارته!

ففي الآخرة: يكون الثواب والعقاب والعمل والاعتبار بما في القلب، **أما في الدنيا:** فيعامل الناس بظواهر أحوالهم، فإذا كان القلب منطوياً على نية فاسدة، فما أعظم خسارته! واعلم: أن الشيطان قد يأتيك عند إرادة عمل الخير، فيقول لك: إنك إنما تعمل هذا رياء أو سمعة، فيحبط همتك، ولكن لا تلتفت إلى هذا ولا تطعه، بل اعمل؛ لأنك لو سئلت: هل أنت الآن تعمل هذا رياء وسمعة؟ قلت: لا!

النية أساس قبول أو رفض كل عمل

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا حديث عظيم، قال الشافعي: يدخل في سبعين بابًا من العلم، وهاتان الجملتان: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، اختلف العلماء فيهما: فقال بعض العلماء: إنهما جملتان بمعنى واحد، وإن الجملة الثانية تأكيد للجملة الأولى، ولكن هذا ليس بصحيح؛ فالأولى سبب، والثانية نتيجة: الأولى: سبب يبين فيها النبي ﷺ أن كل

عمل يعمله الإنسان لا بد فيه من نية؛ حتى قال بعض العلماء: لو كلفنا الله عملاً بلا نية، لكان من تكليف ما لا يطاق!

نو ايا في القمة، ونو ايا في القمامة!

ومن الناس من نيته في القمة، ومن الناس من نيته في القمامة؛ حتى إنك لترى الرجلين يعملان عملاً واحداً في الأقوال والأفعال، وبينهما كما بين السماء والأرض، وكل ذلك باختلاف النية، من الناس من صوم مثلا طلبا للأجر والثواب، ومنهم من يصوم رياء بهدف تخسيس الوزن، والأجر والثواب ليس في باله، منهم من يدافع عن قضايا بلده لأجل حفظ أمنه وسلامته، ومنهم من يفعل ذلك لأجل الدنيا فقط، والظهور على الشاشات ووسائل الإعلام، وشتان بين هذا وهذا.

إن نوى الدنيا، قد تحصل له وقد لا تحصل

نتيجة ذلك قال: وإنما لكل أمري ما نوى؛ إن نوى الله في أعماله حصل له ذلك، وإن نوى الدنيا، قد تحصل وقد لا تحصل، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، ما قال: عجلنا له ما يريد؛ بل قال: ﴿مَا نَشَاءُ﴾، لا ما يشاء هو؛ ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾، لا لكل إنسان؛ فمن الناس من يعطى ما يريد، ومنهم من يعطى شيئاً منه، ومنهم من لا يعطى شيئاً أبداً.

هذان الحديثان يجمعان الدين كله

وقوله: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، هذه الجملة ميزان لكل عمل؛ لكنه ميزان الباطن، وقوله ﷺ فيما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، هذا ميزان الأعمال الظاهرة، ولهذا قال أهل العلم: هذان الحديثان يجمعان الدين كله.

الهجرة في عصرنا الحاضر

أما الهجرة: أن ينتقل الإنسان من دار الكفر إلى دار الإسلام، مثل أن يكون رجل في أمريكا دار كفر، فيسلم، ولا يتمكن من إظهار دينه هناك، فينتقل منها إلى البلاد الإسلامية، فهذه هي الهجرة، وقد يكون هاجر من أجل الدنيا، يعني: رجل يحب جمع المال، فسمع أن دولة إسلامية مثل دول الخليج العربي مثلا يتوفر بها اكتساب الأموال، فهاجر من أجل المال فقط، والثالث: رجل هاجر يريد امرأة يتزوجها، قيل له: لا نزوجك في أمريكا إلا في مصر، ولا تسافر بها إلى أمريكا، ولهذا قال النبي ﷺ: «**فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»، ولم يقل إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، لماذا؟ قيل: لطول الكلام؛ وقيل: احتقاراً لهما.

الهجرة لها أقسام

القسم الأول: هجرة المكان: أي من مكان تكثر فيه المعاصي وتباح مثل الدول الأوروبية مثلا، وتجب إذا كان الإنسان غير قادر على إظهار دينه هناك، وإلا فالبقاء يُستحب، ولا يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلد الكفر إلا بشروط ثلاثة:

الشرط الأول: أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات؛ فالكفار يُدخلون الشك في قلوب المسلمين، حتى إن بعض زعمائهم قال: لا تحاولوا أن تخرجوا المسلم من دينه، ولكن يكفي أن تشككوه فيه.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات؛ وإلا انغمس؛ لأنه يجد زهرة الدنيا، من خمر وزنى ولواط، فينزلق في هذه الأوحال.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك؛ مثل أن يكون مريضاً يحتاج إلى العلاج، أو طالب علم في جامعات تلك الدول، أو تاجرا يستورد البضائع منها أو إليها.

الذين يسافرون من أجل السياحة فقط!

ولهذا أرى أن الذين يسافرون إلى بلاد الكفر كأمريكا أو أوروبا أو غيرهما من أجل السياحة فقط فهم آثمون، وأن كل دولار يصرفونه في هذا السفر سيحاسبون عنه يوم القيامة؛ لأن هؤلاء يضيّعون أوقاتهم ويتلفون أموالهم ويفسدون أخلاقهم، وهذا سبب البلاء والنكبات التي نحن الآن نعيشها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، حتى أصبحت الحوادث المصيرية الآن، تمر على القلب وكأنها ماء بارد لا نهتم بها، مع أننا في حال حرب مدمرة مهلكة، ومع هذا لا تجد أحداً يحرك ساكناً، ثم تجد أناساً في هذه الظروف العصيبة ذهبوا بأهاليهم يتنزهون في تلك البلاد!

ما نهانا الله عنه

القسم الثاني: هجرة العمل، وهي أن يهجر الإنسان ما نهاه الله عنه من المعاصي، كما قال النبي ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»، فتهجر كل ما حرم الله عليك، سواء كان ما يتعلق بحقوق الله أو عباد الله؛ فتهجر السبب والشتم والقتل والغش، وأكل المال بالباطل وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وكل شيء حرمه الله.

المجاهر بالمعصية

القسم الثالث: هجرة العامل، مثل الرجل المجاهر بالمعصية؛ ومثال ذلك: رجل معروف بالغش بالبيع والشراء؛ فإذا هجروه خجل من نفسه وارتدع، وتاب ورجع وندم، أو رجل لا يصلي؛ فهذا مرتد كافر يجب أن يُهجر؛ فلا يُرد ﷺ، حتى إذا عرف

نفسه رجع إلى الله، أما إذا كان الهجر لا يفيد ولا ينفع من أجل معصية، لا من أجل كفر، فإنه لا يحل هجره؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هٰذَا وَيُعْرِضُ هٰذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»، ومن المعلوم أن المعاصي التي من دون الكفر عند أهل السنة والجماعة لا تُخرج من الإيمان، ودليل ذلك قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فهجرهم النبي ﷺ وأمر المسلمين بهجرهم، وقد انتفعوا في ذلك انتفاعاً عظيماً.

العقوبة تعمّ الجميع ثم يُبعثون على نياتهم

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. بيداء: أي أرض واسعة، وفي حديث ابن عمر مرفوعًا: «**إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»، ففي آخر الزمان يغزو جيش عظيم الكعبة، فيخسف الله بأولهم وآخرهم، وفي هذا دليل على أنهم جيش عظيم؛ لأن معهم أسواقهم للبيع والشراء، وفي هذا الحديث عبرة: أن من شارك أهل الباطل وأهل البغي والعدوان، فإنه يكون معهم في العقوبة؛ تعم الصالح والطالح، ولا تترك أحداً، ثم يوم القيامة يُبعثون على نياتهم؛ يقول الله ﷻ: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: ٢٥].

معنى الهجرة بعد فتح مكة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المراد هنا نفي الهجرة من مكة، لأن مكة بعد الفتح صارت بلاد إسلام، وفي هذا دليل على أن مكة ستبقى بلاد إسلام إلى أن تقوم الساعة، والأمر بعد هذا جهاد؛ أي يخرج أهل مكة من مكة إلى الجهاد مع النية الصالحة بأن تكون كلمة الله هي العليا.

المواضع التي يكون فيها الجهاد فرض عين

الموضع الأول: إذا استنفركم ولي الأمر فانفروا وجوباً، وحينئذ يكون الجهاد فرض عين، وألا يتخلف أحد.

الموضع الثاني: إذا حضر العدو وحاصر بلده، صار الجهاد فرض عين، الناس كلهم، حتى النساء والشيوخ القادرين، لأن هذا قتال دفاع.

الموضع الثالث: إذا التقى الصفان؛ صار الجهاد حينئذ فرض عين، ولا يجوز لأحد أن ينصرف، وقد جعل النبي ﷺ التولي يوم الزحف من السبع الموبقات.

الموضع الرابع: إذا احتيج إليه، كأن يكون سلاحا جديدا لا يعرفه إلا هذا الرجل؛ كأحد التخصصات في العلوم العسكرية أو الميكانيكية، أو أية علوم أخرى تتعلق بتقديم المساعدة للجيش، واحتيج له، فإنه يتعين عليه أن يجاهد وإن لم يستنفره الإمام، ففي هذه المواطن الأربعة، يكون الجهاد فرض عين، وما سوى ذلك فإنه يكون فرض كفاية.

فكرة الدفاع عن الوطن!

ويجب على المسلمين أن يكون منهم جهاد في العام مرة واحدة، لتكون كلمة الله هي العليا، لا لأجل أن يدافعوا عن الوطن من حيث إنه وطن، لأن الدفاع عن الوطن من حيث هو وطن يكون من المؤمن والكافر، حتى الكفار يدافعون عن أوطانهم، لكن

المسلم يدافع عن دين الله، فيدافع عن وطنه؛ لا لأنه وطنه؛ ولكن لأنه بلد إسلامي؛ ولذلك يجب علينا في مثل هذه الظروف التي نعيشها اليوم أن نذكّر جميع العامة بأن الدعوة إلى تحرير الوطن دعوة غير مناسبة، وأنه يجب أن يعبأ الناس تعبئة دينية، ويقال إننا ندافع عن ديننا قبل كل شيء؛ لأن بلدنا بلد دين يحتاج إلى حماية، فلابد أن ندافع عنها بهذه النية.

لا يكون شهيدا!

أما الدفاع بنيّة الوطنية، أو بنيّة القومية، فهذا يكون من المؤمن والكافر، ولا ينفع صاحبه يوم القيامة، وإذا قتل وهو يدافع بهذه النية فليس بشهيد؛ وإذا كنت تقاتل لوطنك؛ فأنت والكافر سواء، لكن لتكون كلمة الله هي العليا، ممثلة في بلدك؛ لأن بلدك بلد إسلام؛ ففي هذه الحال يكون القتال قتالاً في سبيل الله، ويجب إظهار الحقيقة للناس؛ أن القتال للوطن ليس قتالاً صحيحاً، وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وأن أقاتل عن وطني لأنه وطن إسلامي؛ فبهذه النية تكون النية صحيحة.

أجر نيّة القيام بالعمل

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ المَرَضُ**».

وفي رواية: «**إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**». رواه مسلم، ورواه البخاري عن أنس ﷺ قال: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فقال: «**إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بالمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ**».